أكـثـر مـن حـب..وأقـل مـن تـقـديـم

في رسالة الكترونية حملها بريدي فاجأني الصديق العزيز الشاعر خزعل الماجدي بعمل شعري،أضعه بثقة بين أبرز ما يمكن أن يحفل به الشعر العراقي من أعمال،عادة ما ينجح عبرها الشعراء المبدعون في كسر الإستقرار والرتابة والحيرة الشعرية،وهم يجترحون الحلول ويرمون بالمفاتيح.

نعم،هنالك أزمة،محنة شعرية..إذا أهملنا أطانا من ركاكات ورطانات تكتب وتسوَّق باسم الشعر.لكن الحلول لاتُنتَظر من خارج الشعر نفسه..الشعر،كفعالية صادقة ومستجيبة بحرارة للحظة الشاعر في الوجود والتاريخ.لاتأتي الحلول من دون إصغاء عميق وصاف للذات في اشتباكها ومكابدتها وتمزُّقها من جانب وفي سموِّها،من جانب ثان،على الحطام،حطامها،وارتقائها بقوة الشعر ورفعته وخلاصه السامي.

وخزعل الماجدي رهين الوحشتين،وحشة مروان الغائب ووحشة الغربة القاسية،يرتفع بالشعر،شعره الذي بين أيدينا،على المرارة والفجيعة والحطام،ويمسك بالحياة،شاعراً غاضبا وناقما ومحتجا..ومنشدا آخذاً بيد الإنسان من أقبية الذبح والقتل والدم والعفونة والظلام الى حيث حريته:الى الشعر.

لم يكن ممكنا لي،وأنا أقرأ نصوص خزعل الجديدة،سوى ان استعيد صورة الثمانينيات لخزعل الماجدي المندفع بعنف ضارٍ نحو وجه آخر للشعر،وجهٍ عبَّر عنه بخزائيل،وجه أحسب أنه ماكان لخزعل أن يتخيل يوما أن يقبل على الشعر بالكيفية التي يقبل بها الآن على صورة نصوص»كتاب السنة العراقية».تلك هي امتيازات الشعر وحريته في التبدل والتغيّر والتحول..وهذا هو امتياز الشاعر في صدقه وجرأته وتحرره من عبء النموذج والثبات عليه.

كنت أفهم أن الشاعر،بدوافع واعية أولاواعية حينذاك،كان يتمرد بصورة الشعر تلك على إرادة الإلزام،الزام الشاعر باستخدام الشعر ومن ثمَّ تحقيره..وافهم إقبال الشاعر على صورته للشعر الآن كاستجابة انسانية حرّة لالتزام الشاعر ازاء المصير الانساني الذي يتحطم ويتبدد.وفي الحالين كان الشاعر حرا ومخلصا لذاته وللشعر.

في هذا العمل الذي ستنشره(المدى) بالتتابع يستعيد خزعل الماجدي تقويم عام٢٠٠٦ ،حيث ذروة العنف والإرهاب والوحشية والخوف،وحيث اختطاف نجله البكر مروان ومجهولية مصيره حتى الساعة،وحيث اضطرار الشاعر الى التخفي اولا والهرب اخيرا ببقية اسرته الى مغتربه الهولندي..يستعيد خزعل ذلك العام،يوما يوما،بنصوص تحتفظ بمرارة الخوف وصرخة الاحتجاج على القتل وبشهوة الإقبال على الحب والحرية.انها نصوص تريد أن تأخذ من وقائع ذلك العام كل شيء من أجل أن تحتفظ بأثمن شيء :بالحياة.

عبدالزهرة زكي

أحـــزان الـسـنـة الـعـراقـيـة

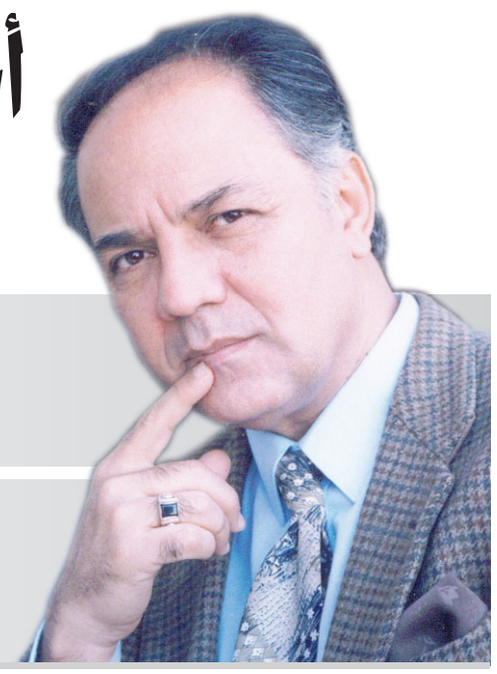

خزعل الماجدي

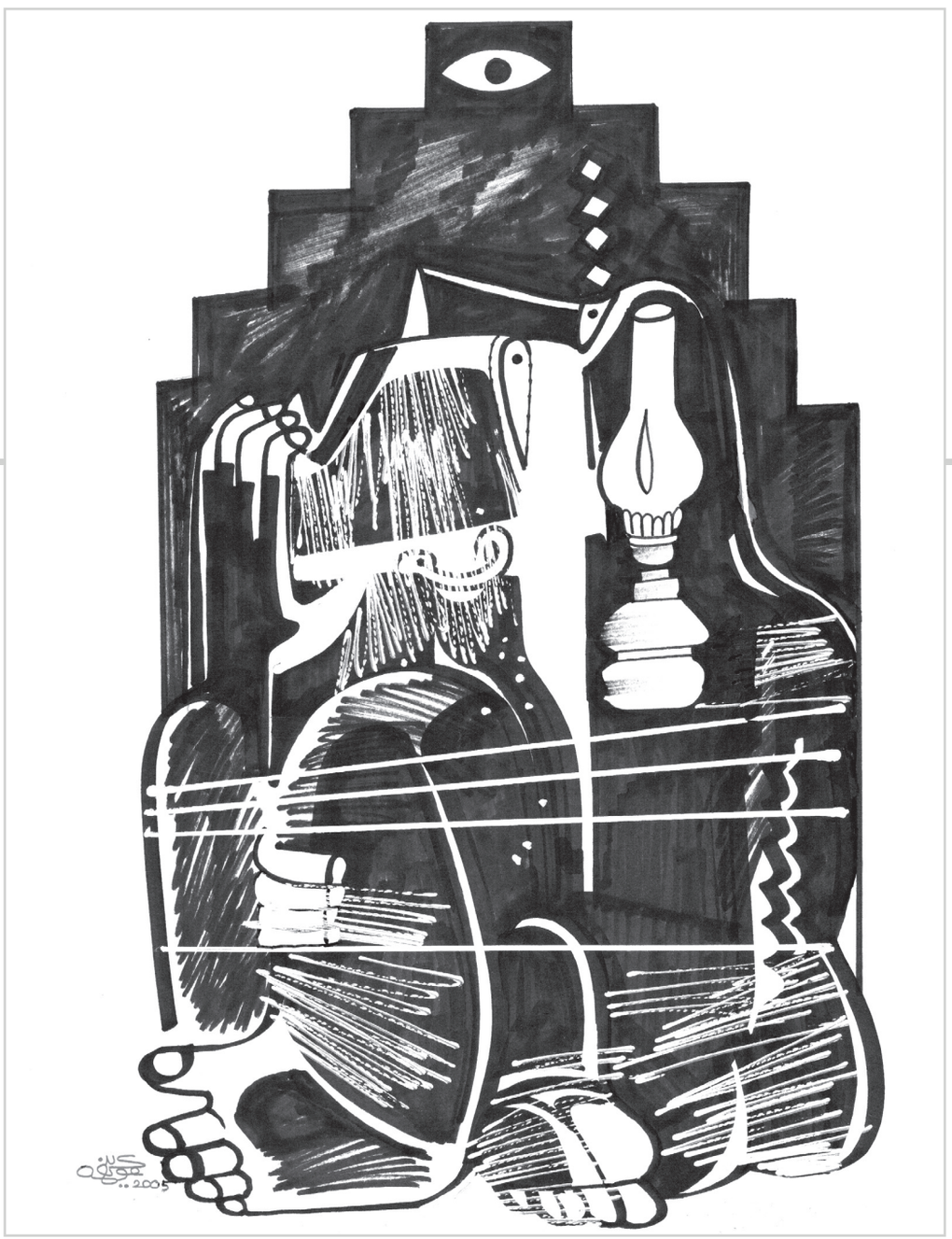

خطفوا ولدي
وأشعلوا نار الحب والشعر في صدري بلا حدود

إلى
مروان
ولدي الحبيب الذي خطفه الإرهابيون
إلى حزنه الذي هو بعض أحزان السنة العراقية

نظرُ إلى الروزنامة
كما لو أني أنظرُ إلى كتابٍ
ممزق
يقطرُ دماً
وإلى شجرةٍ يابسة الأوراق
واحسرتاه..
هذه هي أيام السنة العراقية

كانون الثاني

المرآة
المزدحمة بالأخطاء

1
كانون الثاني

رؤوس تطفو على دجلة

المسلحون الذين خرجوا كالثيران إلى
شوارع بغداد
وشطبوا على رؤوسنا
لم يستطيعوا الإفلات من شرك الكلمات
والموسيقى والرسوم التي صنعناها
فبينما كانت رؤوسنا تتدحرج بالضوء في
الشوارع
كان ظلام الكون كله يدخل في أجسادهم
وكانوا يتعثرون بشراكنا.

المسلحون الذين لا بيوت لهم ولا أهل
الخارجون من المستنقعات والمزدحمون في
مرآة سوداء
والذين ينبحون بلغة لا نفهمها
ويحملون في أحزمتِّهم رؤوس أطفالنا
دمروا بلادنا ووسِّخوا أنهارنا
لكنهم حين تعثروا بأحلامِنا
تساقطوا في الجحيم بدلاً من الفردوس

...

في الكرخ..
أنحدر الأطفال نحو دجلة يبحثون عن الكرة
التي سقطت في الماء
وحين هموا بالتقاطها فُزعوا وتراجعوا إلى
ضفة النهر
كانت الكرةُ طافيةً، في بركة جانبية، بين أحد
عشر رأساً مقطوعاً
كان بين الرؤوس رأس طفلٍ
حين بكت السماء
لم يغفر الأطفال لها
وكذلك لم يغفروا لنا.
...
مسحوه..
مسحوا(الحجاج بن ارطأة) مهندس بغداد
الأول ورموا برأسه من أعلى أسوارها
وقع رأسه في دجلة وأنجرف مع التيار
واستقر في البركة الجانبية
أصبح عدد الرؤوس إثني عشر.

2
كانون الثاني

عيون الذئاب قرب عيون الحملان

بينما كان الخروف الأبيض يجوب بغداد، قفز
الجديّ الأسباني على غرناطة فسقطت.
الغيوم السوداء ملأت السماء وتجهمت المدن
خروفان يقتل بعضها البعض في الشوارع
وطاعون يفتك بالعالم وجداءٌ تمرح
بَرَدٌ بحجم البيض يسقط فوق رؤوس الناس
ودجلة يحبل بالمياه والدخان
ويتوعد بغداد
...
كم غراب سيأتي لهذي البلاد
بلحية وثوب قصير وكتاب فقهي أسود؟
كم كأسٍ من السم سيحملُ معه؟
وكم طفل سيأكل؟
كم من الَخدم سيفرشون لنعليه السجاد
ويعطرون له المياه؟
القطعان الضالة جاءت من الشرق وطعنت
دجلة
وجاءت من الغرب وحفرت خاصرة الفرات
جاءت من الشمال ونهشت الجبال
وجاءت من الجنوب وخربت المدن
بستانك يا عراق تحول الى زريبة
تلمع فيها عيون الذئاب.
...
كلما نظرتُ إلى صورة هذا اليوم في المرآة
امتلأ بيتي بالدخان
وسال الدمُ من عيوني
وشاب شعري وتيبست حنجرتي
غرفة أولادي مدخنة وأغراضها مبعثرة
وعيون غريبة تتجول
كلما أبعدتُ المرآة لكي أفيق من الكابوس
ظهرت يد البتول محناة بالدم
وظهرت صورة المرآة المعكوسة
يالمراوغة يوم ١/٢ الأثنين؟
يظهر في المرآة ٢/١ الأربعاء
ما الذي يجري!!
وما هذا الخيط الأسود في المرآة؟
...
عيون الذئاب
في كل مكان
قرب عيون الحملان!!

لماذا يلبسون حجرا؟

3
كانون الثاني

بدلاً من الزهور والأغصانِ
ظهرت غيوم الدخان وسخّمتنا
كأن بغداد خارجة من أقمطة
السحر
كأنَ صياديها يسعون لصيد
الشمس
كأنهم ينصبون الشراك للمطر
أسوارك يا بغداد مفطّرة
والأمهات فيك يبكينَ
ويُقلّبن الأحجار دائماً
لماذا؟

لماذا يلبسون حجرا؟
لماذا يتكلمون دخانا؟
جرار محطمة.. ونهارٌ كاذبٌ يظهر على قرون
الكبش وتلاطم الأمواج يزيدُ الشوارع افولا.
الشاعر يحمل كتاب الروح ويعلقه على اسوار
بغداد المفطرة..
ينبغي أن نموت تحت الشمس لا تحت
الأرض
أولياء شرسون يقفون في الخزائن الشهية
ويصرخون.
الأوراق في حقيبتي يفترسها مجانين يقفون
على ساقية من الدم.
كيف اصف رغوة الليل في عيوني؟
كيف اصف مشيمة النهارفي يدي؟
اندثرت المصابيح ووقفنا على هاوية عظامنا.
لماذا أجبرونا على لبس الغيوم؟
لماذا أصبح لون المرآة ازرق؟
تظهر فينا النجوم مرتعشة سوداء وتتخفى
فينا حيوانات جريحة.
كأننا مهرجون في مأتم شاسع.
كأننا خرافة تحملها الريح.

...
تبكي يدي
فوق مجامر الزمان.

4
كانون الثاني

أعيدهم إلى رحمِكِ

كيف أحتفلُ بعيد ميلادكِ
والأحزان تقطرُ على أوراق الشجر؟
كيف أشعل شموعك
والظلام هو نارنا الأبديّة؟
وماذا سأهديك؟
الذهب تحول إلى تنك
الفضة تحولت إلى تراب
يكفي أن أنظر إليك بعيون حزينة
ويكفي أن تحفظي لي أولادي الأربعة
من الشرر المتطاير في البلاد
وإلاّ أعيدهم إلى رحمِكِ.

امرأة وحيدة

تجر على عتبة الشتاء شالها القديم، سربٌ
تائه من الطيور في السَماء.
أيتها الأمُّ المباركة افتحي الكتاب واقرأي،
هبطت السلال لكن خبزها أسود ولحمها
تالفٍ وفاكهتها فاسدة، اقرأي سورة البقرة
علناً نطرد الشر.
جلستٍ على أريكة تنظرُ في الأفق وتترصّدُ
أشباحاً تقفزُ، الوباء يفتك بالناس، السيوف
تلمع والشموع الكبيرة انطفأت بعد حين،
ظهرت الأفاعي تتقدم على ذيولها مثل جيش
أسود.
رياحٌ باردةٌ تهبُّ على الشبابيك وهي تغلقها
بصعوبة، ما زالت الخفافيش تملأ شقوق
عمارتنا وما زال صوتها يزعج النجوم،
شجرة الضحك ذبلت وشجرة النوم. كيف
نقتفي أصوات عظامنا التي تحرك الحياة
بهدوء؟ كيف نقف وسط الليل وهي تقرأ
سورة البقرة بحزن؟ الغيوم تأتي من الغرب
والمرأة الوحيدة تعلق حزنها على الحبل، كانت
ترى في المرآة بيوض الأفاعي تملأ بيتها
وكانت تطرد الأشباح بالصلاة، السقوف تنثُّ
تراباً؟ ما الذي سيحصل؟
احترقت السفن واحترق الناس ودخلت
في آبارها البعيدة، كسوة سوداء تنزل على
البيت المقدس، ثعالب تمرحُ في البرية حاملة
شموعنا.
هذا هو الساحل الأبديّ لنا: رملٌ وعظام. هذا
ما رأته (أحلام) في صلاتها.
سقط موسيقار الشعر في القبر وفي يديه
مدوّنات الموسيقا الخفيّة، تحت أدمة الأرض
هناك موسيقا، تحت البشرة، تحت الماء. كان
يفتش عن أنغام الباطن، تركَ أنغام الظاهر
لغيره. سقط العين من تابوته ولم يضع أحدٌ
الزهور على قبره.

ولدت لكم اليومَ سمكةٌ هي ساقية النعم البتول
التي سيكون فالها ولدٌ من الريح، والعلامة
تجدونها في صدر مروان بقعة سمراء مثل
رغيف لا يشبع الناس منه، انتبهوا.. هذه هي
العلامة، رغيف، على صدر فتىً طويل، يأكل
منه الجائعُ والتائه واليتيم فيشبعون.
رأت أحلام البقرة وهي تتبدل من صفراء
إلى خضراء، رأتها تشيخُ ويجفُ ضرعها،
وانتصبت أمامها الأبراجُ وظهرت منها طيور
مصلخة، طيورٌ سقط عنها الريشُ منذ قرون
وحشرت نفسها بين قضبان شبابيك الغرف،
لكنها كانت تهشها بقطعة قماش. انتبهت أن
قطعة القماش هي قميص ولدها.
...
جداول بكائها
في كل مكان
قرب جداول المطر.

5
كانون الثاني

جثث نحو بيت الله

في ثقوب البلاد جرّحتني الدموع
علتني ذخيرة فاسدة ودفعت بي غيومٌ لا عهد
لي بها نحو التراب.
أعشاشي مزدحمة بكسر النجوم وفتائل
قناديلي لا تشتعل
ها أنذا.... عند الفجر
هنا يكون ترتيلي
هنا يكون إسرائي.
الناسُ، من أجل التوبة، وضعوا خطاياهم في
كيس ورموه في القفر.
الناسُ، من أجل الخلاص، صنعوا ملابس
بيضاء لهم
نهضوا، عند شروق الشمس، ورفعوا الرايات
وساروا
في الأيام الباردة نهضوا ورعوا الرايات
حين صدحت أصوات الفجر واهتزت الأعمدة
المقدسة
تركوا بيوتهم وغسلوا أجسادهم وساروا
في ذلك الوقت، في فجر يقطر بالخوف
كان المسلحون يتقدمون
خفافيشهم تحوم حولهم، والنار تطبع
أقدامهم
من ثقوب البلاد كانوا يمرون
من ثقوب كانوا يصفرون.
...
على يدي ينمو الحشيش
على فمي تنمو القيود
المرآة تنبحُ، تخرجُ منها الذئاب
نهارٌ أزرق ملفوف
يا بيت الله أريد أن أشربَ عندك الماء وأنام
يا أيها البيت أريد أن أدور حولك مثلما يدور
طفل حول بيته.
أيها المكان المكسو بالسواد أريد أن أعترف
بأخطائي
المسلحون يفسدون الحلم
جثث نحو بيت الله تسعى
جثث تعتذر عن عدم الوصول
جثث لم يكن بوسعها السباحة
جثث لم يكن بوسعها الطيران
جثث... جثث.

6
كانون الثاني

جيوش

كم مرة نؤسس جيشاً؟
وكم مرة نعرِّضه للهزائم؟
كم مرة نستعمله ضد أهل البلاد؟
كم مرة نحلّه؟
كم مرة نربطه؟
جيوش.. جيوش
كل تاريخنا جيوش.. أو بقايا جيوش..

عندما أصبحتُ جندياً
كنتُ أداري البغال الجريحة العائدة من
الحرب
وكنتُ أرتِّب صيدلةً محشورةً في الجبال
أصنع تماثيل شمعٍ صغيرةٍ للنساء اللاتي
أحببتهن
وأضعها في جيوبي
أدوِّن مذكراتي ومخاوفي
كان الجنرالات يقودوننا إلى الموت
وكنت ألوذ بصيدلتي وببغالي الجريحة
خرجتُ من ذاكرة المقابر
وصنعتُ لي فردوساً من الورق لم يقبل أحدٌ
الدخول إليه.
في طاسلوجة..
تركت البروق تضربُ أنهاري وتفيضُ
بخرافاتي
كتبتُ تحت نار الحروب فصول (خزائيل)
كنتُ أرى أنهار دموعي تحت أقدامي
كنتُ أرى أحزاني تتكاثر في جيوب الجنود
الذين لا يعودون.
لم تكن بندقيتي محشوةً
كنتُ أفرغها من الرصاص وأنامُ بسلام
أحلمُ بأصدقائي الذين في المنافي.
المرآة التي معي لم تكن تحمل سوى العقارب
لم يظهر فيها ينبوعٌ واحدٌ، ولم يظهر فيها
طير
كانت تلمِّع خيوط العناكب وتنشرها.
ضباطٌ يصعدون المسلات ويطلقون النار على
تماثيلي
وأساطيري وكتبي وببغالي
كنتُ أتحاشى رصاصهم بالصمت
وأدعهم بمرحٍ يصعدون المسلات وينزلون
منها
كنُ أصغي للسماء
وأنحدر بعيداً عنهم دون ورقة إجازةٍ
ودون وداع.
...
كفى حروباً...
قالها أطفالنا لأبائهم
نريدُ فجراً بلا طائرات
نريدُ صباحاً بلا هتافات
كفى حروباً
لماذا تفعلون هذا بنا؟
نريدُ وطناً آمناً
نريدُ آباءً شعراء وعلماء وأطباء ورسامين
لا نريد آباءً محاربين.

7
كانون الثاني

أنهار غامضة

لا يتوقف أنين الفرات
مدن قديمة غرقت فيه
وقوارب كثيرة اختفت
الفلاحون يغوصون حدَّ ركبهم في ضفتيه
ومشاعل النار تزداد وأشباح المرايا
لم أسمع أصوات المشي على الماء
لكن طبولاً هدرت مع الأمواج
ما الذي يجري ؟
لماذا يرتجف الفرات هكذا؟
وما هذه الأشباح على أمواجه؟
(٢)
نُهزمُ كل يوم.. لأن الأنهار لا ترضى عنا
نُهزمُ كل يوم.. لأن السماء ضاقت ذرعاً
برصاصنا
نُهزم كل يوم.. لأننا لا نشعر بالهزيمة.

(٣)

في الماضي
كان النهران مشتعلين يحيطان بأرض نفطٍ
خاملة
اليوم..
نهران منطفئان يحيطان أرض نفطٍ مشتعلةٍ
منظرٌ متناوب: ماء ونار
غرق أو حريق.
(٤)
أنهار ارواحنا في السماء
لا في هذه الحفر الطويلة.

8
كانون الثاني

بيوض الأفاعي

يبحثون عن مخابئ لأولادهم
يصدون بايديهم البروق
يبحثون عن ظلام لا يتعرف فيه أحدٌ عليهم
يسحبون الهاوية من تحت اقدامهم
يبحثون عن مكان لا تاريخ له ولا مرآة
يخططون احلامهم بالاسود
أنفار العائلة دخلوا في المبنى الصامت
الموحش
ينفخون الطوفان بدموعهم
الأنفار السبعة الذين لا يكرهون أحداً
يترسون جلودهم بالمرح وبالاوهام
الأنفار السبعة ركضوا هرباً من البرد
يتساقط طابوق قصصهم
الأنفار الذين ظهروا في بيوض شاحبه
فقست حولهم بيوض الافاعي
وحين ناموا
لم يفيقوا ابدا
...
هناك من يرمي من الأعالي
على خارطة هذه البلاد بروقا
هناك من يصفها بالهاوية
هناك من يخطط مدنها بالأحمر
هناك من يدفع بالأحجار
هناك من يصنعُ رياحاً ويفلتها في أزقة البلاد
البلاد التي تنطرح مثل أم عائدة من دفن
ولدها
البلاد التي تتبخر فوق نار ماضيها
هناك من يعيد صياغة هذا الماضي بإتقان
هناك من يحوّله إلى جمر ويضعه تحتنا
هناك من يجعله يطلق النَّار على الناس.
...
سبع مرات
أشعلتُ شمعةً
فانطفأت:
ليل العراق ما زال طويلاً.

9
كانون الثاني

في أيِّ قبوٍ؟

هكذا انبسطت أقدارنا أمامنا
لحيً تنبت بإهمال
ودشاديش متّسخة
وركض دائم
في اليد اليمنى تنكة النفط
وفي اليسرى كيس الخضار
نركض باتجاه الغروب\نركض هرباً من
الحروب
نجمع أغراضنا في صرّة
ونرِّقع أعمارنا بسهرات مُملةٍ
نتباهى..
مرة بأصولنا وأخرى بعلوِّ صوتنا
مرة بخرافاتنا المسكينة وأخرى بعدد خرافنا
نغطُّ ونطلعُ من برك الطين والنفط
ماذا جنينا سوى الركض والصراخ
أجسادٌ سمينة أو نحيفة.. لا فرق
وأنفاس كريهة ولهط
السياط على ظهورنا
وكذلك أطنان المجد الزائف

أين تعلمنا كلَّ هذا الصبر؟
أين عرفنا كل هذا الذلّ؟
في ماضينا هناك ما يشير إلى ذلك
ولكن ليس إلى هذا الحدّ
لقد أحدودبت ظهورنا من كثر الانحناء
لقد أكلنا الوحل ولم نتكلم
في أيّ قبو درسنا حبَّ الموت؟
وفي أيّ حُفرٍ تعلمنا كل هذه الهزائم؟

حروبنا المتناسلة

لا يمكن أن تكون هذه الحروب هي آخر
حروبنا
لا شك أننا نختزن حروباً كثيرة للبشرية ولنا
ثلاثة أجيال انقرضت في الحروب السابقة
وما زال الأطفال في الشوارع يتدربون على
الحروب
التسول.. الحشيشة.. الخمط.. اللواط
يتدثرون بشظايا المفخخات
لا يحبون سوى بقايا الاسلحة
إنهم يتلثمون
ويرمون الرمانات اليدوية على بعضهم
خمسة ملايين طفل
تغلي في رؤوسهم الأيام
وقد نسوا ابائهم الطاعنين في الموت
كيف تتوقف حروبنا؟
أجرة قتل الفرد الواحد بـ(١٠٠) دولار
أجرة تفخيخ السيارة بـ(١٠٠٠) دولار
أجرة وضع مسامير وخردة إضافية بـ(١٠٠)
دولار
أجرة تفجير أنبوب النفط بـ(٤٠٠) دولار
أجرة رمي الصاروخ على البيوت بـ(١٠٠)
دولار
أجرة خطف امرأة بـ(٣٠٠) دولار
ألفان من الدولارات كافية لإشعال الرعب في
يوم واحد
ويمكن زيادة المبالغ لمزيد من الرعب في الأيام
القادمة
وهذا سيطيل حروبنا لعشرات السنين
وإن خمدت نار الحروب
فسيكون الجمرُ تحت الرماد
ويمكن أن تشبَّ ناره بقليل من البنزين بدولارٍ
واحد فقط.
...
صمت القبور
لا يتوقف عن الكلام.